دراسات إسلامية
مجلة علمية سنوية محكمة
العدد السادس / ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م

الأخلاق القرآنية وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية

د. عدنان الحموي العُلَبِي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك ، قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

(٧٦-٤٩)

المستخلص :

يتضمن هذا البحث بيان الأخلاق القرآنية وأنواعها ، وأهميتها في بناء المجتمعات الفاضلة ، وتوثيق مكانتها باعتبارها عاملاً أساسياً في انتشار الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة ، تناول البحث قضايا ذات أهمية مثل جوهر الأخلاق ، وتجليات الأخلاق في واقع المسلمين. مع التركيز على الأخلاق القرانية بصورة خاصة.

Abstract :

This article "The Quranic ethics and its role in the spread of Islamic propagation", tries to shed light on many aspects related to Islamic ethics in general and to the Quranic ethics in particular. The writer brings into focus many issues like : the essence, the manifestations, and the effects of the Quranic ethics on the spread of Islamic propagation. The article deals also with the importance of ethics for Muslims in this world and in the hereafter.

" الأخلاق القرآنية وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية "

الحمد لله رب العالمين ، أنزل القرآن الكريم هداية العالمين للتي هي أقوم ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٩] ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبيِّنا محمد ، الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

المقدمة :

تُعدُّ الأخلاق القرآنية أحد دعائم دين الله الخالص ، وركناً أساساً في نسيج منظومة الشرائع ، ذلك أن من أهداف الرسالات السماوية بث القيم الفاضلة في الأمم ، ونشر مكارم الأخلاق بين بني البشر ، تحقيقاً لسعادتهم ، وسعياً لأمانهم. وقد جاء القرآن الكريم مصدقاً للحق الذي جاء فيما سبقه من كتب ومهيمناً عليها ، وكانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السابقة وناسخة لها ، فاستحقت المثالية في خصائصها ، لتصلح لكل زمان ومكان ، لذاوصف الله تعالى أفضل وأكرم خلقه عليه وأحبهم وأصفاهم إليه نبيَّنا محمداً ﷺ بالخُلُق العظيم ، فقال الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤]. كما كانت بعثة النبي ﷺ متممة لهذه المكارم ، حيث قال ﷺ : **" إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق "**.[1]

وقد جاء البحث بعنوان : **" الأخلاق القرآنية وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية "** ، يتضمن بيان الأخلاق القرآنية وأنواعها ، وأهميتها في بناء المجتمعات الفاضلة ، وتوثيق مكانتها ، كعامل أساس لانتشار هذا الدين العظيم في أرجاء المعمورة ، بما تحويه من مقومات الدعم والتأثير ، ومبررات النجاح والفلاح في تحقيق المقاصد السامية للدعوة ، وما تتضمنه من استجابة لنوازع الفطرة البشرية ، وما تحمله من معان وقيم إنسانية فاضلة ، تتلاقى مع العنصر الإيجابي للدوافع البشرية ، وتتوافق مع السجايا الأصيلة لنوازع الفطرة السليمة.

أهمية الموضوع :

تعيش الأمم اليوم زمناً لا تحسد عليه من تنازع المصالح ، وتصارع النفوذ ، نحو حب سيطرة الكبير على الصغير ، وهيمنة الغني على الفقير ، وتغلُّب القوي على الضعيف ، في وقت أشبه ما يكون رجوعاًمتخلِّفاً إلى أيام الجاهلية الأولى ، وعَوداً بئيساً إلى عهود التخلف

---

[1] أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، رقم الحديث : ٢٧٣ ، وفي التاريخ الكبير : ٧/ ١٨٨ ، وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ : **" إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "** ، وهو صحيح. الموسوعة الحديثية لمسند أحمد : رقم الحديث : ٨٩٥٢ ، وكذا أخرجه مالك في الموطأ : ٢/ ٩٠٤ ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن زيد بن أسلم مرفوعاً : كتاب الفضائل ، رقم الحديث : ١٣٦ ، وأخرجه البيهقي في سننهعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بلفظ : **" مكارم الأخلاق "** ، رقم الحديث : ٢٠٥٧١ ، وكذا أخرجه البزار : رقم الحديث : ٢٧٤٠.

والاستعباد ، ونحن اليوم في زمن تحتاج البشرية إلى ما يذكرها بالقيم الأصيلة ، والمبادئ الفضيلة ، تلك التي تجعل المرء يقف عند حدوده فلا يتعداها ، ويحترم حقوق الآخر فلا يستعلي عليه أو يستعديه. ولما كان القرآن الكريم كلام الله الخالد وخطابه للعالمين ، ولسان الحق إلى الخلق ، وكانت الرسالة المحمدية رسالة المبادئ والقيم ، وأساس الحضارات والأمم ، فقد رغبت الكتابة فيما يذكرنا بأصول ديننا وماضينا الأخلاقي ، وعزة مجدنا وإرثنا الحضاري ، وعراقة أصالتنا ووجودنا الإنساني ، ويربط حاضرنا البائس بماضينا التليد ، ذلك أن دعوة هذا الدين إنما بنيت على دعامات ثلاث : الإسلام والإيمان والأخلاق ، وبهذه الدعائم الأصيلة الرصينة امتد وقوي وانتشر وعمَّ أرجاء المعمورة ، حتى غدا الناس يدخلون في هذا الدين أفواجاً. من هنا كانت الرغبة في كتابة هذا البحث لبيان أثر الأخلاق القرآنية في انتشار الدعوة الإسلامية. وكيف أن انتشار الدين إنما كان بفضل مبادئه السامية ، وقيمه العليا ، فلم ينتشر بسيف أو قهر ، ولم يكره الآخر ، أو يجبره على الدخول فيه ، إنما اتخذ من الحكمة سبيلاً ، ومن المنطق حجة ودليلاً ، لكي ينصر الحق وينتصر به. أنها التذكرة التي أمرنا بها ، لعلي أكسب بركة نفعها ، قال تعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى** ﴾ [الأعلى : ٩]. والله من وراء القصد.

تعريف الأخلاق :

الخُلُق في اللغة : السجيَّة ، والطبع ، والمروءة ، والدين ، وجمعه : أخلاق.[٢]

وفي الاصطلاح : عبارة عن هيئة راسخة في النفس ، تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة ، من غير حاجة إلى فكر ورويَّة وتكلُّف ، لكن التكلُّف هو طريق تحصيل الخُلُق ، فإنه لا يزال يتكلَّف أولاً ، حتى يصير ذلك طبعاً له. ثم إن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة ، سُمِّيَت الهيئة : خُلُقاً حسناً ، وإن كان الصادرَ منها الأفعالُ القبيحة ، سُمِّيَت الهيئة : خُلُقاً سيئاً.[٣]

وتُعرَّف أيضاً : أنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس ، وفي ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان ، أو يقبح ، فيقدم عليه ، أو يحجم عنه.

(٢) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ص : ١١٣٧ ، والكليات ، الكفوي : ص : ٤٢٩.

(٣) التعريفات ، الجرجاني : ص : ١٣٦ ، وكتاب الأربعين في أصول الدين ، الغزالي : ص : ١٨٢ ، ودراسات إسلامية ، دراز : ص : ٨٧.

وقد يطلق عليه علم الأخلاق ، ويراد به علم السلوك ، أو علم الحكمة ، أو علم تهذيب الأخلاق. وعلى العموم فارتباط الخُلُق بالدين لا يمنع من جعل الأخلاق علْماً عقلياً ، حيث لا تعارض بين العقل والدين في أمور الفطرة ، إذ الدين دين الفطرة ، والعقل السليم يتجاوب مع متطلبات الفطرة السوية. قال الله تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم : ٣٠].

أنواع الأخلاق :

تنقسم الأخلاق قسمين :

- **الأخلاق الحسنة أو الكريمة** : وهي ثلة الآداب الحميدة ، والفضائل الرفيعة ، وتنتج عنها الأقوال والأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً.
- **الأخلاق السيئة أو الذميمة** : وهي مجموعة الرذائل القبيحة ، والصفات الوضيعة ، والتي تنتج عنها الأقوال والأفعال الشنيعة عقلاً وشرعاً.[٤]

الألفاظ ذات الصلة :

المتتبع لألفاظ القرآن الكريم يجد أنه انفرد بلفظ **" الخُلُق "** في موضعين ، الأول : قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [الشعراء : ١٣٧] ، والمقصود به عادة الأولين في اعتقاد أن لا بعث ، والثاني قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤] ، ومدلول النص بيِّن ، إلا أن الخُلُق والأخلاق بمفهومها العام جاءت مضامين القرآن الكريم تعضدها وتؤكدها ؛ معززة للمحمود منها ، ومنفرة من المذموم منها. بيد أن للأخلاق – بنوعيها – خصالاً تتصل بالمفهوم العام الأخلاق ، ذات صلة بمدلولها ، بل يمكننا عدَّها أركاناً أساسية لنوعَي الأخلاق ؛ فالأخلاق الحسنة تنبثق عن ثلة من القيم الفاضلة أهمها : الصدق ، والفضيلة ، والكرم ، والصبر، والعفة ، والشجاعة ، والعدل ، والحياء ، والمروءة ، والتواضع، والحلم ، والأمانة ، والسخاء ، والوفاء ، والإخاء ، والرحمة ، والصفح ، وحسن الأدب.

والأخلاق السيئة تنشأ عن مجموعة من الرذائل القبيحة أهمها : الكذب ، والغرور ، والجبن ، والخسة ، والبخل ، والجهل ، والظلم ، والشهوة ، والغضب ، والحقد ، والحسد ، والخيانة ، والتكبر ، والرياء ، والغدر ، والتباغض ، وسوء الأدب.

---

[٤] الأخلاق في الإسلام ، العبد : ص : ٧.

الأدلة القرآنية على الأخلاق :

الحقيقة أن القرآن الكريم قدتناول العديد الكثير من آيات الأخلاق ، وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خُلُق النبي ﷺ بالقرآن ، حين سئلت عنه ، حيث قالت : **" فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن "**.[٥] أي : متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه ، وما يشتمل عليه. بل كان ﷺ الأسوة الحسنة ، فقد بلغ في كل خُلُق أقصاه وأسماه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **" كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً "**.[٦] لذا سأجمع هنا من الآيات ما تعدُّ من أمهات الأخلاق في القرآن ، مما أمر الإسلام بها ، وحضَّ عليها كأخلاق حميدة. أو مما نهى عنها ، وحذر منها كأخلاق ذميمة. قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤]. وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٩٠]. وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية أنه روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية قرأتها على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فتعجب فقال : يا آل غالب ، اتبعوه تفلحوا ، فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق. وفي الحديث : إن أبا طالب لما قيل له : إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النجل : ٩٠] ، قال : اتبعوا ابن أخي ، فوالله إنه لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق.[٧] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٩]. وقال تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٩]. وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء : ٥٨]. وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾

---

(٥) هذا جزء من حديث طويل في صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ، رقم الحديث : ٧٤٦.

(٦) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، بابكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ، رقم الحديث : ٢٣١٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٠/ ١٦٥.

[المائدة : ١]. وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩١]. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]. وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]. وقال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٧-١٩]. وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦]. وقال تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٧-٢٨].

وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة الأخلاق فيما يعرف بالوصايا العشر ؛ خمس مأمورات ، وخمس منهيات مرتين ؛ في سورتَي [الأنعام] و[الإسراء]. فقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء : ٢٣-٣٨].

وفي الحديث عنه ﷺ فيما أدّب به أمته ، وحضّها عليه من مكارم الأخلاق ، وجميل المعاشرة ، وإصلاح ذات البين ، وصلة الأرحام ، فقال ﷺ : **" أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السرّ والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً ".**(٨)

وقد كان الصحابة الكرام النموذج العملي والمثال الحي لهذه الأخلاق ، تمثلاً في سلوكهم وصفاتهم ، يصفهم سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الوصف الدقيق فيقول فيهم : **" أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل الأمة ؛ أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ".**(٩)

---

(٨) العقد الفريد ، شهاب الدين ابن عبد ربه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥٦.

(٩) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر : ٢/ ٩٧.

أهمية الأخلاق القرآنية في بناء المجتمعات البشرية

مكانة الأخلاق القرآنية في بناء الأمم والحضارات :

عني القرآن الكريم بالأخلاق كموجه أساس لتقويم سلوك الإنسان ، وكان عنوان رسالة الإسلام قول الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤]. وقوله ﷺ : **" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "**.[١٠] ومما يدل على ذلك الأمور التالية :

(١) هدف القرآن الكريم إلى صياغة مجتمع أخلاقي ، يتسم أفراده بقيم عالية في السلوك والتعامل ، من خلال منظومة أخلاقية مثالية في التوجيهات ، واقعية في التطبيق.

(٢) ساوى القرآن الكريم بين مفهوم الخُلُق الحسن ، وبين معاني الدين ، فمن معاني الدين البر ، قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن ا البر والإثم فقال : **" البِرُّحُسْن الخُلُق ، والإثم ماحاك في صدرك ، وكرهت أن يطَّلِع عليه الناس "**.[١١]

(٣) رفع القرآن الكريم من شأن الأخلاق الحسنة ، وأضاف المتصفين بها إلى نفسه في العبودية لما يتحلون به من معاني الرحمة ، فقال تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، وجعل أحسن الناس خُلُقاً خيارهم ، وأكملهم إيماناً ، وأقربهم إلى الرسول الكريم ﷺ يوم القيامة ، ففي الحديث قوله ﷺ : **" إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً "** [١٢] ، وفي حديث

---

[١٠] سبق تخريجه.

[١١] صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم ، رقم الحديث : ٤٦٣٢.

[١٢] تمام الحديث : عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان ﷺ يقول : **" إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً "**. صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، رقم الحديث : ٣٢٩٥.

أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً "** [١٣] ، وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **" إن من أحبكم إليَّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة : الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيقهون. قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين ، فما المتفيقهون؟ قال : المتكبرون "**.[١٤]

(٤) ربط القرآن الكريم بين الإيمان والأخلاق ، فالعدل مثلاً مرتبط بالأخلاق : يقول تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٨].

(٥) ربط القرآن الكريم بين العبادات وآثارها الأخلاقية ؛ فعلى مستوى الفرائض نجد أن كل فريضة تتميز بآثارها الأخلاقية ، وعليه :

أولاً : الثمرة الأخلاقية للصلاة تتمثل في تحقيق الصلة الروحية بالله تعالى ، والنهي عن سوء الخلق ، والمنكر من الأفعال ، يقول تعالى ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء "**.[١٥]

---

(١٣) تمام الحديث : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم خُلُقاً "**.قال : وفي الباب عن عائشة وابن عباس. قال أبوعيسى : حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي : كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، رقم الحديث : ١٠٨٢ .

(١٤) وفي الباب عن أبي هريرة هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.الثرثار : هو كثير الكلام ، والمتشدق : هو الذي يتطاول على الناس في الكلام بملء فيه ، ويتعالى عليهم ، ويتصنع القول تعاظماً. وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد. وهذا أصح.سنن الترمذي : أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، رقم الحديث : ١٩٤١ ، قال الترمذي : حديث حسن غريب.

(١٥) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم الحديث : ٢١٥ .

ثانياً : الثمرة الأخلاقية للصيام تتمثل في تحقيق التقوى وتجنب المنكرات. يقول تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٣]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **" مَن لم يدَعْ قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدَعَ طعامه وشرابه "**.(١٦)

ثالثاً : الثمرة الأخلاقية للزكاة تتمثل في تطهير النفس من البخل والشح ، وتعويدها على البذل والجود والسخاء. يقول تعالى ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١٠٣]. وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **" ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعطِ منفقاً خلَفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعطِ ممسكاً تلَفاً "**.(١٧)

رابعاً : الثمرة الأخلاقية للحج تتمثل في أنه موسم للتربية العملية للروح ، في رياضة مؤثرة في النفس ، ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق الحميدة ، والتخلص من كثير من ذميم الصفات ، وفرصة لمحو السيئات ، وتحقيق التقوى. يقول تعالى ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة : ١٩٧]. وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **" من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "**.(١٨)

هذا العرض المجمل على مستوى أركان الإسلام وفرائضه ، نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخُلُق(١٩) ، أما على مستوى ما دونها من نوافل وآداب ومستحبات فنجد أن الأخلاق هي هدف هذه النوافل والآداب والمستحبات ، وأن الثمرة الأخلاقية عنوان كل أدب أو هدي أو فضيلة أو توجيه. فالصدق كما في الحديث يهدي إلى البر ، والكرم يهدي إلى البذل والعطاء ، ويمنع من الشح والبخل ، والتواضع يهدف إلى عزة النفس ، والفضيلة تهدي

---

(١٦) صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، رقم الحديث : ١٧٧٠.

(١٧) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** ﴾ ، رقم الحديث : ١٤٤٢.

(١٨) صحيح البخاري : كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، رقم الحديث : ١٤٢٤.

(١٩) خلق المسلم ، الغزالي : ص : ٨.

إلى المروءة ، وثمرة الكرم الجود والعطاء ، والصبر مفتاح للفرج ، والعفة طهر للنفس ، والشجاعة عنوان الرجولة ، والعدل صفة الرحمن ، والحياء خير كله ، ولا يأتي إلا بخير ، والتواضع رفعة ومنَعة ، والحلم سيد الخلاق ، والأمانة شعار الأتقياء ، والسخاء سخاء النفس ، وحسن الأدب عنوان شامل لجميع هذه الخصال ، وهكذا تتجلى جميع هذه المعاني بآثار طيبة ، وثمار يانعة من الفضائل الأخلاقية.

خصائص الأخلاق القرآنية :

أولاً : الشمول : بمعنى أن الأخلاق في القرآن الكريم تشمل جميع القطاعات الإنسانية المختلفة الداخلية والخارجية ، فلكل منها أخلاق ؛ فللفكر أخلاق ، وللاعتقاد أخلاق ، وللقلب أخلاق ، وللنية أخلاق ، وللنفس أخلاق ، وللسلوك الظاهر أخلاق ، وهكذا..فأخلاق الفكر تتمثل في تحري الحقيقة بإنصاف وحيادية ، والصبر على التفكر والتدبر ، والبحث عن كل نافع مفيد من الأفكار والمعارف والعلوم ، والبعد عن سفاسفها وتوافهها ، والاشتغال بتذكر كل صالح مفيد ، ونسيان ما يثير من أحقاد وضغائن تبعث على الغضب والحسد وغيرها من نقائص ورذائل. وأخلاق القلب حب الحق والخير ، وكراهية الباطل والشر ، وعدم حمل الأحقاد والضغائن. وأخلاق النية صفاؤها ونقاؤها وإخلاصها ، وأخلاق النفس الصبر والعفة والسماحة والجود ، ومجانبة الحسد ، والترفع عن سفاسف الأمور ، والنظر إلى معاليها ، وعلو الهمة. وأماأخلاق السلوك الظاهر من الأقوال والأفعال والأعمال فهي كثيرة ، وهي تعبير حقيقي عما يحمله المرء في داخله من سجايا ، فكل إناء ينضح بما فيه.كذلك تتجلى خاصية الشمول في أن الأخلاق شملت كل جوانب الحياة الإنسانية ؛ حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، وجميع مجالاتها الروحية والجسمية ، والدينية والدنيوية ، والعقلية والعاطفية ، ورسمت لكل من هذه الجوانب والمجالات منهجاً سلوكياً راقياً.[٢٠]

ثانياً : الثبات : فالقيم الأخلاقية في القرآن الكريم تتسم بالثبات وعدم التغيير والتبديل ، وهي ليست نسبية تختلف من فرد إلى آخر ، أو تتبدل من مجتمع إلى آخر ، أو تختلف من مكان إلى آخر ، بل هي ثابتة راسخة مستقرة على مر الأزمنة ، وتعاقب الدهور ، قال

---

[٢٠] الأخلاق الإسلامية ، حبنكة : ١/ ٥٠ ، والثقافة الإسلامية ، فرحات والخلف : ص : ١١٢ ، والفكر الإسلامي ، جامعة الإمارات : ص : ١٦٣ .

الله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] ، كما أن الأخلاق القرآنية محور ثابت محكوم بروابط أزلية ، لا يغيرها مرور الزمن ، فلم يكن لفضيلة الصدق يوماً ما لتتبدل إلى كذب ، ولم يكن لفضيلة الأمانة زمناً ما لتتحول إلى خيانة ، وهكذا. بل مرور الأيام ، وتعاقب الأزمنة ، يزيد هذه القيم والفضائل ثباتاً ورسوخاً.

ثالثاً : موافقتها للفطرة : لقد خلق الله تعالى البرية على الفطرة السمحة ، القائمة على إِلْفِ الخير والفضيلة ، ونبذ الشر والرذيلة ، وذلك ما عبر عنه القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] ، وجاء الإسلام متوائماً مع الفطرة ، منسجماً مع متطلباتها ، متوافقاً مع تطلعاتها ، لأنه دين الفطرة. يؤيد هذا حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **" كل مولود يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء "**.[٢١]

رابعاً : موافقتها للعقل : الأصل في عقيدة أهل السنة والجماعة أن الحُسْن والقُبْح شرعيان ، وليسا عقليين ، بمعنى : أن ما حسَّنه الشرع فهو حسَن ، وما قبَّحه الشرع فهو قبيح ، وإن حسَّنته بعض العقول لعلة فيها ، أو ثغرة ونقص يعتريها ، كما في استحسان الخمر عند مدمنيها. إلا أنه لا ينكر دور العقل المنصف ، غير المتحيز لأنانية حيوانية ، أو نزوة شيطانية ، أو غريزة بهيمية ، من أن يتفق مع الشرع في تحسين كل مقبول حسَن شرعاً ، وتقبيح كل مستنفر قبيح شرعاً. لأن العقل السليم لا يتناقض مع أصول التشريع ، بل يتوافق معها وينسجم تكاملاً ، خاصة إذا أدركنا دوره كعامل أساس ، وركن أصيل في مناط التكليف الشرعي.

خامساً : الاعتدال : ويقصد به اتخاذ الوسط بعيداً عن جانبي الإفراط والتفريط ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، وقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ

---

[٢١] صحيح البخاري : كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، رقم الحديث : ١٢٩٦.

عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فالأوامر والنواهي في القرآن الكريم تتسم بالطابع الأخلاقي الذي يجعلها تدور في فلك الاستطاعة والاعتدال ، قال تعالى ﴿ **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : ٧] ، وقال تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن : ١٦] ، فليس فيها من التشدد ما يجعلها قواعد لا تطاق ، كما أنها ليست من العبث والرخاوة ما يجعلها لهواً هراءً ، وصدق الله تعالى حيث يقول ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١٥]. فشخصية المسلم أياً كان رجلاً أو امرأة تتصف بالاعتدال طبقاً للمنهج الإسلامي في التربية والسلوك ، بعيدة عن التزمت والعبوس والنفور والجمود ، ولها مساحة رحبة من المزاح والدعة والترويح ، بتوازن وتكافؤ من غير شطط أو تجاوز.

سادساً : الجزاءفيها دنيوي أخروي : تتميز الأخلاق في القرآن الكريم بارتباطها بخاصية الجزاء الإلهي ، فالمحسن له جزاء الإحسان وزيادة ، والمسيء ينال جزاءه عدلاً وفاقاً. كما أن هذا الجزاء يبدأ من لحظة الأداء في الدنيا مستمراً إلى الآخرة ، فصاحب الخلق الحسن يكسب بخلقه الحسن ثناء الناس ، ويستشعر رضا الله سبحانه في عمل الصالحات ، ويحظى بنعيم الله في جنات الخلد في الآخرة. كذلك بالمقابل صاحب الخلق السيء لا ينال من العباد إلا الكره والبغض والنفور ، وهو في الآخرة يلقى جزاء سوء خُلُقه عقاب الله تعالى وسخطه. قال تعالى : ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [يونس : ٢٦].

سابعاً : الوسطية : تميزت تشريعات الإسلام بالواقعية ، بمعنى إمكانية التطبيق عند المستهدف فيها ، وعدم استحالة ذلك طالما استطاع المكلف ذلك وأطاقه. لقوله تعالى ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : ٧٨]. ويقصد بها وسطية الأخلاق بين الواقعية والمثالية. قال تعالى ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]. فجاءت التكاليف على أساس اليسر ورفع الحرج ، ومراعاة طبيعة الإنسان ، متمثلة الواقعية في التوسط والاعتدال. قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩]. فليست الأخلاق الإسلامية بمثالية خيالية يستحيل تطبيقها ، بل هي واقعية مناسبة لطاقة البشر وقدراتهم وإمكانياتهم وفي حدود استطاعتهم.[٢٢]

الابتعاد عن الأخلاق القرآنية سبيل لضياع الأمم وسقوط الحضارات :

لقد سطرت أحداث التاريخ أخباراً عن أمم وحضارات بلغت شأوها مجداً وقوة ، وسجلت لوجودها صولات وجولات مع خصمها ومُنازعها ، ثم شاءت إرادة الله تعالى أن تتهاوى وتتلاشى ، وتسقط كما سقط غيرها ، ولو تتبعنا سِرَّ هلاكها لأدركنا أن وراءه انعدام منظومة الأخلاق في منهجها ، وضياع مفهوم القيم الأخلاقية من أبجدياتها ، وانحسار قانون الفضيلة من قاموسها ، فاستشرت فيها نزعة الأنا ، ودبَّ فيها داء الأمم ، وسادت فيها شريعة الغاب ؛ فعمَّ الظلم والقتل والبغي والفساد ، وانتشر الاضطهاد والتسلط والشر والعدوان ، فكان الهلاك والدمار مصيرها ، والتردي والسقوط في الهاوية مآلها. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦-١٤] ، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢].

قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد سجل لنا القرآن الكريم مواقف أربعة لنماذج ممن تنحَّى جادة الصواب في الاستعلاء والظلم ، وإقصاء الآخر ظلماً وعدواناً ، بدعوى الأنا ، هذه اللفظة البغيضة إلى

---

[٢٢] الأخلاق في الإسلام ، المليجي : ص : ١٤٧ ، والفكر الإسلامي ، جامعة الإمارات : ص : ١٦٣.

الرحمن ، الأليفة إلى الشيطان ، تعد العدو الأول للأخلاق ، فقد ادعاها نماذج أربعة في تاريخ البشرية بعبارات مختلفة اللفظ متفقة المعنى ، وتمثلوها سلوكاً شرساً في واقعهم ، فكانت عاقبة أمرهم خسراً. وقد نظمها شاعرهم بقوله :

أربعةٌ مُهلِكةٌ للعبدِ — أنا ونحنُ وليْ وعندي

فالشيطان أول من ادعى الخيرية والتعالي على آدم ، حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم ، فأبى وقال : **" أنا "**. قال تعالى ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ** ﴾ [ص : ٧٥-٧٧] ، فأخرجه من الجنة ملعوناً مطروداً من الرحمة إلى يوم الدين. وقوم سبأ حين اغتروا بقوتهم ، ونظروا إليها على أنها القاهرة الناجية الناصرة ، وقالوا : **" نحن "** في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ [النمل : ٣٣]. فتلقوا درساً في الهلاك والعقوبة ﴿ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [النمل : ٣٧]. وفرعون حين ادعى الألوهية ، وأمر قومه بالسجود له ، ظناً أن ما أوتي من خيرات تؤهله لرتبة الألوهية فقال : **" لي "** ، فكان العدل الإلهي بانتظاره. قال تعالى ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آَسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ** ﴾ [الزخرف : ٥١-٥٦] ، فأهلكه الله بالغرق ، وجعله عبرة لمن يعتبر ، قال تعالى : ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾ [يونس : ٩٠-٩٢]. وقارون حين بغى في الأرض ظلماً وطغياناً ، وفساداً وعدواناً ، وغرَّته نعمة المال فعبده ، ونسي المنعم ، فقال : **" عندي "** ، فأهلكه الله بالخسف ، قال تعالى ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ**

الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٧٦-٨١].

إذاً ما نخلص إليه في نهاية المطاف أن سيادة قانون الأخلاق في الأرض هو سر نشأة الحضارات ، واستقرار الدول ، وسيادة الأمم ، وتخلف هذا القانون أو ضياعه أو تهميشه أو انحساره هو نذير شؤم لانهيار الحضارات ، وزوال الممالك ، وسقوط الأمم. وهذا ما أكده القرآن الكريم في منظومته الأخلاقية الخالدة.

شبهة انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها :

يردد أعداء الإسلام عامة والمستشرقون خاصة شبهة المقولة الظالمة ؛ أن دين الإسلام انتشر بحد السيف ، ويستشهدون بمغالطات تاريخية ، وتحليلات كاذبة لوقائع وأحداث ، كما يؤلون نصوصاً شرعية على غير مرادها ، أو يفهمونها ويشرحونها خارج سياقها ، مخالفين بذلك قواعد التفسير ، وأصول الاستدلال ، ليخلصوا إلى أن الإسلام انتشر بالقهر والقوة ، والسلاح والبطش ، ولعل ما يساند فكرهم هذا ما يطالعنابه التاريخ المعاصر بين الفينة والأخرى من ظهور على الساحة لفئات قاصرة في النظرة ، غامضة في الهدف ، غريبة في الفكرة ، ينعتون أنفسهم بتوجه ديني ، وينحون منحى التطرف والمغالاة فيه ، والحقيقة أنهم يسعون لهدم الدين من داخله ، من خلال الفهم الساذج إن لم يكن الضال أحياناً ، متمسكين بحجج واهية ، ومستندين إلى رؤى ومرجعيات مشبوهة ومهزومة أحياناً أخرى.

ولإنصاف الحقيقة والتاريخ نقول : إن انتشار الإسلام ، بل الرسالات السماوية جميعها بين الأمم ، إنما كان بعوامل عديدة ، ووسائل متباينة ، تبعاً لحال وخصائص كل أمة وقوم ، لكن جامعها الأساس يتمثل في الأخلاق الحميدة ؛ من الصبر والتحمل والأسلوب الحسن والحكمة والموعظة الحسنة ، وهو ما بيَّنه الله تعالى في منهج هذه الدعوة بقوله تعالى ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٥] ، والمتتبع للقصص القرآني يدرك هذا

المعنى ، فما من نبي إلا دعا قومه بلسانهم ليبين لهم ، ولم يختلف أحدهم عن غيره في أسلوب الحكمة والصبر والتحمل. قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [إبراهيم : ٤]. وتدلنا نصوص السيرة النبوية على هذا الأسلوب النبوي الحكيم ؛ فكم لاقى رسول الله ﷺ من أهل مكة ، وصبر عليهم ، حتى اضطروه للهجرة إلى الطائف أملاً في قبول دعوته ، وكيف رده أهل الطائف رداً قاسياً ، حتى إن جبريل عليه السلام يعرض عليه في طريق دعوته ملَكَ الجبال ، كي يأمره فيطبق عليهم الأخشبين ، ويأبى ﷺ بقوله : " **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً** ".[٢٣] ونراه ﷺ في مواقف أخرى هي أشد وطئاً عليه ، فيدعو عقيبها لقومه بالهداية : " **اللهم اغفرلقومي فإنهم لا يعلمون** ".[٢٤] وكان لهذا الصبر والتحمل أن آتى أُكُلَه ، فترقى مراحل الدعوة تقدماً ونجاحاً ، وتنتقل من مرحلة السرية إلى الجهرية في مكة ، ثم من مرحلة العهد المكي بخصائصه المعروفة إلى مرحلة العهد المدني بسماته المشهورة ، والتي انتهت بنزول سورة النصر آخر السور القرآنية قبيل وفاته ﷺ بتسع ليال ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ [النصر : ١-٣]. ثم تتالت الفتوحات رويداً في عهد الصديق ﷺ ، إذ كانت المدة قصيرة ، وعولجت فيها مشكلة الردة الطارئة ، ثم تنامى المد الإسلامي في عهد الفاروق ﷺ ، إلى أن اتسعت الفتوحات الإسلامية أكثر وأكثر في عهد الخليفة عثمان ﷺ ، وهكذا. وفي كل العهود السابقة انتشر الإسلام في ربوع الأرض بحكمة دعوته وحنكة دعاته ، فلم يكن الفتح إكراهاً بقدر ما هو دعوة ، ولم يكن إجباراً بقدر ما هو إنقاذ ، وتذكر كتب السيرة أنه ﷺ كان يكاتب الملوك والزعماء فيدعوهم إلى الإسلام ، لأنه دين الله الحق الخاتم الناسخ ، وإلا فالجزية ، - وما أدراك ما مزايا عرض الجزية كإجراء فيه احترام للآخر ، واعتراف به ، وعدم إقصائه - ، وإلا فالسيف على من أبى العَرْضَيْن. إذاً السلاح في وجه المعارض لرسالة الإسلام الخاتمة للرسالات السابقة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ**

---

[٢٣] صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ، رقم الحديث : ٣٢٣١ ، وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، رقم الحديث : ١٧٩٥.

[٢٤] صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، رقم الحديث : ٣٢١٨.

الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، المخالف المنكر للحقيقة بعد نسخ الشرائع الفائتة ، المعادي للحق الذي ارتضاه الله للبشرية ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وهنا نستطيع إدراك التكامل في فهم النصوص بجانب بعضها ، فيستقيم أمر القتال في قوله تعالى ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٢٩] ، إلى جانب قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وأمثالها من النصوص الأخرى.

ومثله الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله "**.[٢٥]

آثار ونتائج الأخلاق القرآنية :

انتشار الإسلام في مجتمع الجزيرة العربية :

للمجتمع العربي خصائصه وسماته المميز بها ، فهو مجتمع القبيلة العربية ، والعربي ابن البادية تعلوه هامة الشرف والعزة والإباء ، وتستشرفه معاني الفخر والجاه والكبرياء. ومضامين الشعر الجاهلي تثبت هذا. بل إن سلوك ابن البادية إنما يستلهمه من طبيعتها الشاقة الصعبة ، ووعورة بيئتها القاسية الجلفة ، وغلظة مناخها الحار الجاف. فمعاني الأخلاق الفاضلة كلها موجودة متوارثة ، إلا أنها انحرفت عن أصلها الصادق ، لتؤول إلى معان جافة قاسية ؛ شرسة أحياناً ، وغامضة متناقضة أحياناً أخرى. فالشرف أصل أخلاقي رفيع ، لكنه يشذُّ فهماً حين يودي بصاحبه جهلاً إلى وأد البنت خشية العار أو الفقر. والسخاء والكرم خلق حميد ، كذلك يشذُّ واقعاً حين يفسر عبثاً بضده إسرافاً ومباهاة ، ويقسر صاحبه دفعاً إلى

---

[٢٥] صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ ، رقم الحديث : ٢٥.

نحر ناقته ، إكراماً لضيف الليل. وفي بيت عنترة الجاهلي من الشرف وذم العار ما يرفع الرأس شموخاً بالعروبة حين يقول :

وأغضُّ طرفي إذْ بدَتْ لي جارتي حتى تُواري جارتي مأواها

لكن الجهالة الجهلاء تعمي العربي الجاهلي ، وتبعده عن هداية السماء ، فلا يبالي بشنيعة الزنا ، ورذيلة السفاح ، بل يتباهى به ، ويَعُدُّه من سمات الرجولة ، كما في نكاح الشغار والرهط والرايات. والجاه والإجارة والعزة والإباء أخلاق تتجلى في النجدة والغوث والنصرة والعون ، لكنها تصطدم بالمفارقات حين يتحول مفهوم النصرة إلى فهم مغالط فيه ، فينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً بالمفهوم الجاهلي ، ومفهوم العزة والإباء يخرج عن مساره الفاضل حين ينتصر لدابة في حظيرته اعتدت عليها دابة جاره ، وتقوم الحروب الدامية بين القبائل لنصرتها ، وهكذا.. فكان لا بد للدعوة من معالجة هذه السلوكيات الخاطئة ، وقد تمت وتحققت بأمرين اثنين ؛ فكان الوحي القولي المتلو وغير المتلو ، متمثلاً في قول الله تعالى ، وقول رسول الله ﷺ ، إلى جانب الوحي العملي التطبيقي المتمثل في هدي رسول الله ﷺ وحياته بين أظهر أولئك النفر الذين لا يتجاوز أحدهم من أن يكون العدو الشرس للإسلام ولنبي الرحمة ﷺ ، لينقلب إلى الحميم الوفي لهذا الدين وللنبي الكريم ﷺ ، حين يقف على سلوك نبوي رحيم ، أو يواجَه بحلم أبوي ، وحنو أخوي لا يمكن أن يصدر إلا عن رسول من عند الله تعالى. وهنا أعرض لمحطات معروفة في السيرة تؤيد ما أقول : فموقف سراقة بن جعشم في طريق الهجرة(٢٦) ، والبدوي الذي بال في المسجد ونهره الصحابة ، ثم دعا دعوته المشهورة ، **" اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً "** (٢٧) ، وذاك الذي اعترض النبيَ ﷺ بسيفه وقت استراحته ينوي قتله ، ثم آل يرتجيه إلى أن يكون خير آخذ.(٢٨) ورابعهم الذي

(٢٦) حين تعرَّض له في طريق الهجرة طمعاً في جائزة المائة ناقة ، ثم تراجع واستسلم ، حين بدت له أمارات النبوة ، وعلم أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ ، وقد طلب الأمان منه ﷺ وأوتيه. البداية والنهاية : ٢/ ٤٦١.

(٢٧) سنن الترمذي : كتاب الطهارة ، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ، رقم الحديث : ١٣٧. قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

(٢٨) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب من علَّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ، رقم الحديث : ٢٩١٠ ، والمستدرك : الحاكم ، كتاب المغازي والسير ، رقم الحديث : ٤٣٢٢.

يستفسر عن شرائع الدين ، فيخبره ﷺ بها ، فيحلف الرجل أن لا يتطوع شيئاً ، ولا ينقص مما فرض الله عليه شيئاً ، ويشهد له ﷺ بالفلاح ودخول الجنة إن صدق[٢٩] ، وأمثلة أخرى لا تحصى ، وعنوان هذا كله الأخلاق الفاضلة الموحى بها في النص المتلو في القرآن الكريم ، وغير المتلو بها في هدي النبي ﷺ القولي والعملي ، تلك الأخلاق التي اصطفاه الله تعالى عليها ، قال تعالى ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤]. نعم إنها الأخلاق الإسلامية ، أخلاق القرآن الكريم ، وأخلاق النبوة ، وهي سِرُّ نجاح الدعوة الإسلامية ، وسبب انتشار هذا الدين ، في بيئة صعبة بكل المقاييس والمعاني.

انتشار الإسلام في بلاد شرق قارة آسيا :

تؤرخ كتب التاريخ أن القوافل التجارية التي كانت تبحر وترحل من بلاد العرب عموماً إلى بلاد شرق آسيا كانت العامل الأساس في انتشار الإسلام هناك ، من خلال احتكاك التجار المسلمين بأهل تلك البلاد ، والتعامل معهم ، فتركوا فيهم آثاراً طيبة على مر الزمان ، فكان ذلك دافعاً إلى اعتناق أهل تلك البقاع للإسلام ، وانتشاره في تلك القارة ، ولم يسجل التاريخ واقعة واحدة لإكراه أو إجبار على دخول الدين ، أو استعمال أمر أو قوة أو سلاح لاعتناق الإسلام هناك ، بل انتشر الإسلام فيها بالفطرة الساذجة ، ومن خلال التعامل التجاري ، والصلة المادية والاجتماعية ، إضافة إلى أن طبيعة أهل تلك البلاد أليفة طيبة ، تألف الطيب وتتقبله. كما لا يخفى أن الفتوحات الإسلامية في تلك القارة قد لاقت استجابة عند أهلها لما تميزوا به من الفطرة ، ولما لمسوه من منطقية الدعوة ، وصدق الداعية ، إذ كانت تلك البقاع وما تزال تدين بديانات وملل ونحل إلحادية بدْعية وثنية ما أنزل الله بها من سلطان ، ولعل ذلك بدافع الجهل أو الفقر ، ووجدت بيئة خصبة لها لمبررات ، فكان لا بد لقول المنطق وكلمة الحق من أن تلقى لها آذاناً سامعة لهديها ، وقلوباً عطشى لحكمتها ، وأفئدة واعية لمنطقها ، وهكذا وجد الإسلام طريقه إلى بلاد شرق آسيا منذ القرن الهجري الأول ، فوصل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر ، وامتد شرقاً متنامياً ليصل إلى إندونيسيا والفلبين وتايلاند والهند وباكستان وأفغانستان وسيرلانكا ونيبال ومالديف وبورما وجزر القمر وبروناي وبخارى وترمذ ونساء وقزوين وغيرها ، ويسطر لنا التاريخ أسماء رجال أعلام

[٢٩] صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب وجوب صوم رمضان ، رقم الحديث : ١٨٩١.

ثقات هناك حملوا لنا هذا الدين بأمانة ، وتخصصوا في شتى علومه ، وغدوا أئمة له ، يُنعت أحدهم بالإمام ، وشيخ الإسلام ، والحجة ، والحافظ ، والمفسر ، والأصولي ، والفقيه ، والمحدث ، واللغوي وهكذا ؛ أمثال : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم.[٣٠]

انتشار الإسلام في قارة أفريقيا :

تثبت مصادر التاريخ أن انتشار الإسلام في قارة أفريقيا يعود إلى الدعاة المسلمين الذين تميزوا بصفائهم ، وعلو همتهم ، وصدق حالهم ومقالهم ، فتركوا بصمات طيبة في الشعوب التي وصلوها ، والأمم التي التقوها واحتكوا بها. ففي فتح مصر في عهد الفاروق رضي الله عنه نموذج رائع لأثر تعاملهم مع الأقباط حين خيروهم إحدى ثلاث : الدخول في الإسلام ، أو البقاء على دينهم ودفع الجزية لقاء أمنهم وحمايتهم ، أو القتال حتى يحكم الله بينهم ، ويذكرنا التاريخ بأثر معاملة المسلمين للأقباط من حيث اللين معهم واحترامهم ، وإطلاق الحرية الدينية لهم ، وحماية كنائسهم ، وغير ذلك من أخلاق الإسلام التي أثرت فيهم إيجاباً ، وكانت عوناً على انتشاره[٣١] ، كما يعود الفضل في هذا الانتشار إلى الطرق الصوفية التي انتشرت على أيدي رجال الطرق الصوفية ، كالتيجانيةنسبة للشيخ أحمد التيجاني ، والتي انتشرت في الجزائر والسنغال ومصر وارتريا ، والسنوسية نسبة للشريف إدريس السنوسي ، والتي انتشرت في ليبيا وتونس وغرب مصر ، والقادرية نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني التي انتشرت في السودان والمغرب الأوسط **" الجزائر وتونس "** [٣٢] ، والسَّمانية نسبة للشيخ محمد السَّمان من المدينة المنورة ، والتي انتشرت في السودان ومصر ، والميرغنيةنسبة للشيخ محمد عثمان الختم الميرغني ، والتي انتشرت في السودان وتشاد ، والشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، وغيرهم من الطرق الصوفية ، الذين كان لهم الأثر الطيب والبصمات

---

(٣٠) مصادر هذا المطلب عدد من الكتب منها : انتشار الإسلام في العالم ، الطرازي ، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، الألوائي ، والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا ، عبد الظاهر ، بتصرف.

(٣١) تاريخ الإسلام ، حسن : ١/ ٢٣٢.

(٣٢) الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا ، عبد الظاهر : ص : ٣٢٢.

الواضحة في انتشار الإسلام في هذه القارة ، فكانوا رجالاً بحق قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه سلوكاً وزهداً ، فأثَّروا في المدعوين ، وانتشر الإسلام هناك بجهودهم الفطرية الطيبة ، ورغم أن هذه الطرق قد سلكت في بعض محطاتها مسلكاً أبعدها عن المنهج القويم الذي أقامها عليه دعاتها ، نتيجة جهل في الفهم ، واعوجاج في التطبيق ، وسذاجة مفرطة في الوعي ، إلا أنه لا ينكر فضلها ، وفضل رجالها الذين وقفوا في وجه المد الظالم جهاداً ونصرة للدعوة والدين ، ولعل الأئمة الأبطال والمجاهدين الأحرار من أمثال الشريف السنوسي وعمر المختار وغيرهما ، إنما هي نماذج مشرِّفة وأمثلة مشرِقة ، ممن سطَّروا للطرق الصوفية أروع أمثلة البطولة ، في نشر الدعوة الإسلامية ، وانتشار الإسلام في قارة أفريقية سلوكاً وفكراً وطريقة ومنهجاً.[٣٣]

عوامل انتشار الإسلام :

نستطيع أن نستخلص من هذا الاستعراض العام لانتشار الإسلام في مختلف أرجاء المعمورة أن ثمة عوامل أساسية ذات أهمية تعد من أسباب هذا الانتشار العظيم للإسلام ؛ وأهمها :

(١) **البيئة الطبيعية** : حيث تتميز البيئة الطبيعية لأهل آسيا عموماً من حيث انتشار الديانات القديمة في الهند والتي تلتقي مع الأديان السماوية في خلود الروح والحساب في الآخرة ، فكانت مؤهلة لتلقي العقيدة الصافية من الغوغائية التي شاعت في الملل الأخرى.

(٢) **صفات الدعاة ووسائلهم في نشر الدعوة** : للدعوة أسلوب قلَّ مَن يوفَّق فيه ، فالداعية مثال للمدعوين ، يحتذى ويقتدى به ، وقد ندبنا ربنا إلى التأسِّي بسيد الدعاة ﷺ في أخلاقه وسلوكه ، فقال تعالى ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١]. وأهم ما يتصف به الدعاة ليوفَّقوا في نشر دعوتهم توافق الحال مع المقال ، فما من قيمة أخلاقية يدعون إليها إلا ويتخلقون بها ؛ سلوكاً في حالهم ، وتطبيقاً في واقع حياتهم.

---

(٣٣) مصادر هذا المطلب عدد من الكتب منها : انتشار الإسلام في العالم ، الطرازي ، والدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، الألوائي ، والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا ، عبد الظاهر.

(٣) **القدوة الشخصية** : حيث اتخذ الدعاة القدوة الشخصية الحسنة كوسيلة أساس في أداء رسالتهم ، ووسيلة مهمة للتأثير في الآخرين ، فالتأثير في القلوب له ركائزه الهامة ، وميزاته الكبرى التي تصنع العجائب إذا ما صدق الداعي بها ، وأخلص في دعواه ، وهذا ما تميز به الدعاة من خلق قويم ، أثَّر في المدعوين من خلال القدوة الشخصية والسلوك الشخصي.

(٤) **فطرية الإسلام** : فهو دين الفطرة والعقل والعلم ، لا يحمل في تعاليمه تناقضاً للعقل ، أو منفراً للنفوس ، بل يحترم الإرادة وحرية الاختيار ، فلا يكره أحداً على الدخول فيه. وهو يستيقظ العقل ، ويبرز دوره في النظر والتفكر في آثار قدرة الله ، ويضمن المساواة التامة بين أفراد الجنس البشري في الحقوق والواجبات ، ليؤكد حقيقة قوله تعالى ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم : ٣٠] ، وقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

(٥) **الصوفية والزهاد فاتحو القلوب** : فقد أثَّروا تأثيراً بليغاً في نفوس الناس من خلال أسلوبهم في الدعوة ، وتعاليمهم ، وسلوكهم المثالي تواضعاً وشفقة ورحمة ، وخاصة في إقبال المجرمين والجناة الذين كانوا يأتونهم تائبين نادمين متأثرين من صفاء أصحاب الطرق الصوفية وصدقهم وورعهم وتقاهم.

(٦) **الموعظة الحسنة** : والتي تتمثل في الكلام الليِّن المشتمل على العظات التي يستحسنها السامع ، فيندفع لاستماعها وتقبلها ، فكانت عاملاً جاذباً للناس ، للاقتناع بالإسلام والتأثر به ، من خلال الاقتناع بالدعاة بعيداً عن المآرب الشخصية والمطالب الذاتية.

(٧) **الابتعاد عن المآرب السياسية** : حيث ابتعد الدعاة عن ساحة الملوك والسلاطين ، وتمثلوا حقيقة الزهد في واقعهم وسلوكهم ، فارتفعت مكانتهم عند الناس ، وأصبحوا بعيدين عن مواطن التهم والشكوك.

(٨) **الجهود الفردية** : حيث كان الدعاة يرشدون العامة إلى طريق الحق ، من خلال الاتصال الشخصي ، والاختلاط بالجماهير ومعاشرتهم ومجالستهم ، فتركوا أثراً طيباً فيهم ، فأقبل العامة عليهم عن انشراح صدر وطيب نفس.

(٩) **أسلوب الدعوة** : مخاطبة الناس على قدر عقولهم ؛ فتعلم الدعاة لغات القوم ، ودرسوا طباعهم ، وعرفوا ظروفهم واتجاهاتهم النفسية ، فكانوا أقدر على وصول دعوتهم إلى القلوب ، ومعالجة الانحرافات الواقعة فيهم ، إذ أهل مكة أدرى بشعابها.[٣٤]

الخاتمة والنتائج المستفادة :

(١) شكلت منظومة الأخلاق القرآنية ركناً أساساً ، ودعامة مهمة في بنيان الدين ، إضافة إلى أصول العقيدة السليمة ، وأحكام العبادة والشريعة ، وبهذا يتكامل الدين بتحقق هذه المنظومة الثلاثية ، كل منها يكمل الآخر تفاعلاً وتمازجاً ، فلا شريعة بدون عقيدة ، ويتوِّجهما تحقق المسلم خُلُقاً وسلوكاً.

(٢) تمثلت الدعوة الإسلامية بمجموعة من العناصر والثوابت الأخلاقية القرآنية ، والتي كانت دعامة انتشار الإسلام ، فلم ينتشر الإسلام بحد السيف والسلاح ، ولا القهر والبطش ، ولا الإكراه والعنف ، إنما انتشر بالأخلاق القرآنية السمحة الفاضلة ، والقيم النبيلة الراشدة ، من خلال التعامل والاحتكاك والسلوك.

(٣) برهنت مقولة : **" الدعوة بالحال أقوى من الدعوة بالمقال "** مصداقيتها في تأثر بلاد شرق آسيا بالتجار العرب والمسلمين الوافدين إليهم ، ونتج عن هذا التأثر دخول أصقاع كثيرة هناك في الإسلام من خلال التبادل التجاري القائم على تمثل أسس الأخلاق الإسلامية واقعاً ملموساً في السلوك والتعامل.

(٤) أثبتت الطرق الصوفية مصداقيتها في نشر الدعوة ، حين حملها وقادها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فكراً ووعياً وفهماً وسلوكاً.فكان للأخلاق الإسلامية المنبثقة عنها الفضل العظيم في تأثيرها على الأمم والشعوب في بلاد أفريقيا ، لتقبل على اعتناق الإسلام بالفطرة ، ومن خلال معاينتها ومعايشتها للمثال السلوكي الذي يحتذى به.

التوصيات المقترحة :

(١) العناية بالقرآن الكريم في توظيف هديه لخدمة الدعوة الإسلامية ، وذلك بحسن فهمه ، وتطبيق هديه في سلوك الدعاة ، وترجمة آياته إلى أفعال وواقع وسلوك عملي ، بحيث يكون القارئ له والداعي إليه قرآناً يمشي على الأرض ، كما كان حال سلف هذه الأمة ، فيما تواترت الأخبار عن تاريخهم وأحوالهم ، إذ كانوا رهباناً في الليل ، وفرساناً بالنهار ، فتحوا قلوب العباد والبلاد بهدي هذا القرآن الكريم.

---

[٣٤] الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، الألوائي ، بتصرف.

(٢) الاهتمام بتوظيف وسائل الإعلام بشتى أطيافها ، وتنشيطها وتفعيلها في تقديم القرآن الكريم والسيرة النبوية كمادة علمية عملية من خلال البرامج الهادفة ، التي تتناول قضايا المجتمع والأمة ، وتقدم العلاج للمشاكل الاجتماعية والتربوية ، وتقدم الحلول الواقية لهذه القضايا ، استلهاماً من وحي هذا الدين العظيم.

(٣) توجيه الخطاب الديني في المدرسة والمسجد والجامعة ، لإبراز الجانب التطبيقي والسلوك العملي لهدي النبي الكريم ﷺ في تعامله مع مختلف أطياف المجتمع ؛ وإظهار دوره الريادي والقيادي في الدعوة والإرشاد ، والتوجيه والإصلاح.

(٤) الالتفات لغير المسلمين ، والاهتمام بنوعية خطابهم ، لبيان الوجه الصحيح لأخلاق الدعوة الإسلامية ، وفلترة ما يشاع من أفكار مشوشة عن دين الإسلام ونبي الرحمة ﷺ والدعوة عموماً ، وتنقيتها من الشوائب الوافدة ، والمغالطات الشائعة ، فكم من الركام حول دين الإسلام ومعانيه السمحة ونبي الإسلام والقرآن الكريم يعم بلاد غير المسلمين ، وكم ينتج عن هذا الركام من نتائج سلبية ، تُبعد الشُقَّة بينهم وبين الإسلام دين الفطرة السوية.

(٥) تربية الناشئة على حب القرآن الكريم من خلال حفظه وتلاوته وفهمه ، وحب النبي الكريم ﷺ من خلال استذكار أقواله ، ومعرفة أفعاله ، وملاحظة هديه ، والعلم بسلوكه ، وذلك بتوظيف وسائل التقنيات الحديثة للدعوة إلى هذا الهدي الكريم ؛ تعليماً وإرشاداً وتوجيهاً ، لنسير جميعاً على هذا النهج القويم ؛ كباراً وصغاراً ، دعاة ومدعوين.

هذا وبالله تعالى التوفيق ، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع :

(١) القرآن الكريم.

(٢) الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط/ أولى : ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

(٣) الأخلاق في الإسلام ، د. عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ، ط/ ثانية : ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

(٤) الأخلاق في الإسلام ، د. محمد يوسف موسى ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط/ ثانية : ١٤١٣هـ -١٩٩١م.
(٥) الأخلاق في الإسلام ، د. يعقوب المليجي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية : ١٣٠٥هـ -١٩٨٥م.
(٦) الأدب المفرد ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، ط/ ثانية : ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
(٧) انتشار الإسلام في العالم في (٤٦) دولة آسيوية وأفريقية ، د. عبد الله مبشر الطرازي ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، ط/ أولى : ١٤٠٦هـ -١٩٨٥م.
(٨) البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، اعتنى به د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت : ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
(٩) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، د. حسن إبراهيم حسن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/ سابعة : ١٩٦٥م.
(١٠) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/ أولى : ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
(١١) الثقافة الإسلامية ، د. محمد إقبال فرحات ، ود. عواد الخلف ، دار البشائر الإسلامية ، ط/ أولى : ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
(١٢) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي ، دار الكتب الحديثة ، مصر : ١٩٧٥م.
(١٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/ ثانية : ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
(١٤) خلق المسلم ، محمد الغزالي ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ط/ ثامنة : ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.
(١٥) دراسات إسلامية ، د. محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، دمشق ، ط/ ثالثة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(١٦) الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني ، د. حسن عيسى عبد الظاهر ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(١٧) الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، د. محيي الدين الألوائي ، دار القلم ، دمشق ، ط/ أولى : ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

(١٨) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، المكتبة التجارية مصطفى الباز ، دار الفكر ، بيروت : ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

(١٩) صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت : ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

(٢٠) صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/ أولى : ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

(٢١) العقد الفريد ، شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط/ أولى : ١٩٨٦م.

(٢٢) الفكر الإسلامي ، لجنة من أساتذة الفكر الإسلامي في جامعة الإمارات ، ط/ ثالثة : ٢٠٠٣م.

(٢٣) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/ ثانية : ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

(٢٤) كتاب الأربعين في أصول الدين ، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط/ أولى : ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

(٢٥) الكليات ؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/ ثانية : ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

(٢٦) المستدرك على الصحيحين ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/ أولى : ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢٧) المكتبة الشاملة.

(٢٨) الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.